

حين دخلت المرأة العراقية قاعة المحكمة لأول مرة

إعداد:

م.م نور الهدى عباس شهاب

شعبة شؤون المرأة – جامعة النهرين

nour_alhuda@nahrainuniv.edu.iq: البريد الإلكتروني:

من قاعة المحكمة إلى ذاكرة العراق الثقافية... صبيحة الشيخ داود وبداية الحضور النسوي في طريق العدالة.

حين دخلت صبيحة الشيخ داود قاعة المحكمة لأول مرة لم تكن تخطو نحو مهنة جديدة فحسب، بل كانت تفتح باباً ظل مغلقاً طويلاً أمام النساء. ففي ذلك الزمن كان حضور المرأة في المجالات القانونية أمراً نادراً، وكانت نظرة المجتمع إلى عملها ما تزال محاطة بالكثير من القيود والتصورات التقليدية. لكن صبيحة الشيخ داود استطاعت بهدوئها وثقتها وثقافتها أن تغيّر هذه الصورة، وأن تجعل من القانون مساحة جديدة لحضور المرأة العراقية وإثبات قدرتها على النجاح والتأثير.

كان حضورها مختلفاً هادئاً، لكنه عميق الأثر ففي وقتٍ كانت فيه الفرص التعليمية والمهنية محدودة أمام الفتيات آمنت بأن المعرفة قادرة على كسر القيود الاجتماعية، وأن المرأة تمتلك من الكفاءة والوعي ما يؤهلها للمشاركة في مختلف الميادين العلمية والمهنية. ولهذا لم يكن اختيارها لدراسة القانون مجرد قرار شخصي بل خطوة حملت أبعاداً اجتماعية وثقافية مهمة، لأنها كسرت صورة تقليدية استمرت طويلاً حول طبيعة الأدوار التي يمكن للنساء القيام بها داخل المجتمع.

ولدت صبيحة الشيخ داود في بغداد ونشأت في بيئة اجتماعية محافظة، إلا أن ذلك لم يمنعها من مواصلة طريقها بثبات وإصرار. لم تتراجع رغم صعوبة المرحلة لتصبح أول محامية عراقية في تاريخ العراق الحديث فاتحةً بذلك باباً جديداً أمام الحضور النسوي في المجال القانوني.

ولم تكن الطرق التي اختارتها سهلة بوجود امرأة داخل المحاكم آنذاك كان يثير الاستغراب أحياناً، إلا أنها واجهت ذلك بثقة وهدوء وإيمان بقدرتها على النجاح. وكان وجودها بعباءة المحاماة آنذاك كافياً ليعيد رسم صورة المرأة في أذهان كثيرين إذ استطاعت من خلال ثقافتها وشخصيتها القوية أن تثبت أن الكفاءة لا ترتبط بالنوع الاجتماعي، بل بالإرادة والعلم والقدرة على تحمل المسؤولية.

ومن هنا بدأ التغيير ، فمع اتساع حضورها المهني بدأ تأثيرها يتجاوز حدود المحاكم ليصل إلى الوعي الاجتماعي ذاته. أصبحت تجربتها مصدر إلهام لكثير من الفتيات اللواتي بدأت ينظرن إلى التعليم والعمل المهني بوصفهما حقاً طبيعياً وطريقاً لتحقيق الذات. كما ساهم نجاحها في تغيير نظرة الكثير من العائلات تجاه تعليم البنات، لأن المجتمع رأى أمامه نموذجاً حقيقياً لامرأة استطاعت أن تجمع بين الاحترام الاجتماعي والتفوق العلمي والحضور المهني المؤثر.

ولم يقتصر أثرها على الجانب القانوني فقط بل امتد إلى الجانب الفكري والاجتماعي أيضاً. فقد كانت ترى أن المجتمعات التي تُقصي المرأة عن المعرفة إنما تُضعف نصف طاقتها الإنسانية، لذلك دعت إلى منح النساء فرصاً أوسع للتعلم والمشاركة في الحياة العامة، وسعت إلى ترسيخ صورة المرأة الواعية القادرة على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية.

ومع مرور الوقت، لم يعد دخول المرأة إلى كليات القانون أو العمل في المحاكم أمراً غريباً كما كان في السابق، بل أصبح امتداداً طبيعياً لطريق فتحت رائدات مبكرات كانت صبيحة الشيخ داود في مقدمتهن. ولم تعد المرأة بعد تجربتها تنظر إلى القانون بوصفه مساحة بعيدة عنها، بل مجالاً تستطيع أن تثبت فيه حضورها وكفاءتها.

فالريادة الحقيقية لا تُقاس بمن يكون الأول فقط، بل بمن يجعل الطريق ممكناً للآخرين. وهذا ما فعلته صبيحة الشيخ داود تماماً؛ إذ تحولت تجربتها إلى بداية لوعي جديد أكثر إيماناً بقدرة المرأة على الحضور والتأثير والمشاركة في صناعة الحياة العلمية والمهنية.

وهكذا، فإن الخطوات التي قادتها يوماً إلى قاعة المحكمة، قادت بعدها أجيالاً كاملة من النساء نحو أبوابٍ أوسع من العلم والطموح والحضور، ليبقى اسم صبيحة الشيخ داود حاضراً بوصفه رمزاً للريادة الهادئة التي غيرت صورة المرأة العراقية في الوعي الاجتماعي والثقافي عبر الزمن.